مصطفى خياطي

الطب والأطباء في الجزائر العثمانية

منشورات ANEP

مقدمة

في غالب الأحيان المنتصرون هم اللذين يكتبون التاريخ، هذا ما نراه لما نقرأ ما كتب عن الجزائر خلال الفترة العثمانية و لقد ساهم الكتاب الفرنسيون بقسط كبير في التعريف بهذه الحقبة و لكن غالبية كتاباتهم هي محل نقد. وقد يبدو هذا النقد شديدا عندما نتصـــفح ما كتب في ميدان الطب والصحة العمومية. فهم يتهمون أصحاب هذه الفترة بالجهل وبانعدام النظافة الشئ الذي سهل في استفحال الأمراض المعدية وترك الأهالي بلا علاج. وقد وصل هذا الوضع بسلطات الجزائر الى التراخي في فرض العزلة الإجبارية فيما يخص البضائع المستوردة من البلدان التي بها عدوى أو المرضى اللذين يأتون من الخارج ...

تداول و تكرار هذه الصور المقزمة لهذه الفترة في الكتابات الفرنسية أثر على الكـثير من الكتاب الأجانب اللذين اكتفوا بقراءة خطية لما جاء في الكتب الفرنسية و هذا ما يفسر صعوبة دراسة المصادر التي تعرضت لهاته الفترة لكون وجود مراجع غير موثقة أو معلومات متناقضة لأن كل المعلومات كانت مستقاة من المصادر الفرنسية و يرجع ذلك إلى عوامل كثيرة من أهمها تحطيم و تشتيت كل الملفات و المعلومات المدونة من طرف سلطات الجزائر. مع العلم بأن العثمانيين كانوا يحرصون أشد الحرص على الكتابات الإدارية فكيف نفسر مثلا غياب سجلات الضرائب. أضف إلى ذلك الحرب الإعلامية التي شنتها السلطات

الفرنسية ضد سلطات الجزائر العثمانية و ذلك من أجل إعطاء زخم ضخم للمهمة الحضارية التي كانت تدعيها.

فرغم كل هذه الصعوبات استطعنا الرجوع إلى معطيات موضوعية والتي تبين أن مستوى الطب في الجزائر خلال تلك الفترة كان متساويا مع ممارسة الطب في دول الحوض المتوسط، اذ كان الطب الممارس في الجزائر خلال تلك الفـــترة من النوع الطبيعي الذي كان يأخذ قواعده من الحمية والأعشاب الطبية و الحمامات إلخ... و كان هناك في الجزائر أطباء أكفاء يقومون بعلاج الكسور و الجروح و يعالجون كذلك مرض الماء الأزرق في العيون و كانوا يقومون بعمليات جراحية على الجهاز العصبي كثقب الجمجمة ...

حقيقة لم تكن توجد آنذاك منظومة صحية مركزية تسير الخدمات الطبية مع وجود تنظيم للمحترفين و نقابة ممثلة لقطاع الصحة و كان يوجد، كما كان الحال في أوروبا آنذاك، مشعوذون وكثير من الطفيليين على الطب.

و من الصعب أن نقول أنه كان هناك تفوق للطب الأوروبي على الطب الجزائري آنذاك لأن أكبر الاكتشافات و خاصة المتعلقة بالميكروبات وانتشار العدوى لم تسجل إلا في أواخر القرن 19. وهناك دراسات تبين أن نسبة الوفيات بعد العمليات الجراحية التي كانت تجرى بكثافة في أوربا آنذاك كانت مرتفعة جدا لجهل الأطباء بوجود ميكروبات مسئولة عن الإنتانات التي كان يتعرض لها المريض مباشرة بعد العملية الجراحية.

و لعل الجانب الأكثر جلبا للانتباه فيما يخص السياسة الصحية في الجزائر العثمانية هو طـــابعه الإنســـاني و هذا ما يتجلى في إصدار السلطات في سنة 1693م لميثاق المســتشفيـــات «La Charte des Hôpitaux» من طرف الداي شعبان و الذي تم بمقتضاه إخضاع كل البضائع المستوردة

إلى ضريبة غايتها تموين المستشفيات المسيحية في الجزائر التي شيدتها البعثات المسيحية من أجل التكفل بالسجناء الأوروبيين المرضى. ولإعطاء القارئ صورة دقيقة لما كان يجري خلال تلك الفترة خاصة فيما يتعلق بالمنظومة الصحية بدى لنا أن نقدم بعض الصور التي بإمكانها تيسر فهم حالة الطب في الجزائر.

و قد أسندنا عملنا هذا بمعلومات جديدة من خلال قراءة موضوعية لتاريخ الطـــب والأطباء في هذه الحقبة المميزة من تاريخ الجزائر ونلتمس من القراء الكرام حلمهم في قراءة هذه المساهمة لأن صاحبها حاول قراءة التاريخ بأعين طبيب وربما خطواته أدت به الى التطفل على التاريخ.

د. مصطفى خياطي

فهرس

تصدير 5
مقدمة 11

الجزائر **15**
– الجزائر العاصمة، المدينة حامعة للأجناس 16
– الجزئر العاصمة، مدينة ثقافية 17
– الجزائر العاصمة، مدينة عسكرية 18
– تنظيم المدن 18
– التزود بالماء 18
– الإنارة 19
– الأمن العام 19
– نظافة المدينة 20
– النقل في المدينة 20
– التنظيم البنائي 20
– الهندسة المعمارية 22
– خاتمة 23

تأسيس الجزائر العثمانية 27
– كتابة التاريخ بفهوم أحادي 27
– بداية القرصنة 27

رسالة إخلاص من سكان الجزائر العاصمة الى الباب الأعظم **33**

الجزائر العثمانية قوة بحرية **39**

الحدود الجغرافية للجزائر العثمانية **43**
– حالة حرب شبه دائمة 44
– أوبئة و كوارث طبيعية 46

أساليب التعليم و العلاج المتبعة بالجزائر العثمانية 49
– سياسة العلاج في الجزائر في فترة الحكم العثماني 49
– مُمارسة الطبّ في الجزائر في عهد الحكم العثماني 50
– الممارسة الحرّة للطب 51
– نظام العلاج في الجزائر في عهد الدّولة العثمانية 52
– النظافة العمومية 53

التعليم بالجزائر في عهد الدولة العثمانية 59

ممارسة الطب في عهد السلطة العثمانية 63

المرافق الصحية العثمانية بالجزائر 67
– الصحة البحرية 68
– الخُلاصة 69

الطبّ الشّعبي 71
– المرافق الصحية بالجزائر 71
– مَصادر الطبّ الشّعبي 73
– ممارسة الطبّ 74

ممارسة الطب في الجزائر 77

الوشم العلاجي 82
الطب الأوربي 83
– المستشفيات الأوربية أو المسيحية بالجزائر العاصمة 83
– عدد وقدرة المستشفيات المسيحية 90
– كيفية ممارسة ونمط العلاج في المستشفيات الاوربية بالجزائر العاصمة 93
– تسيير المستشفيات المسيحية بالجزائر العاصمة 95
– ميثاق المستشفيات بالجزائر العاصمة 69
– المستشفى الاسباني بوهران 102
– المستشفى الفرنسي بالقالة 103

الطب في العهد العثماني 107
– الأطباء الأسرى 107
– سانسون 108
– باسكال جاميسوت 108
– سانشيز 109
– الطبيب اندرهيل 110
– سيمون بفيفي 111
– أطباء مأخوذون على أساس أسرى 111
– أطباء أوربيون مكثوا أو مارسوا بالجزائر العاصمة 112
– أطباء إسبانيون 113
– الطبيب مياردي 114
– أطباء آخرون كانوا في الجزائر العاصمة
– في إطار مهمة خاصة ومن بينهم 115
– أطباء عثمانيون مشهورون 116
– محمد ابن عثمان أو محمد الكبير 117
– أطباء جزائريون مشهورون 117
– تلمسان 118
سعيد ابن أحمد المكري 118
محمد ابن سليمان ابن اسيم التلمساني 118
محمد ابن أحمد الشريف الحسن 118
عبد الله ابن عزوز المراكشي التلمساني 118
ابن مريم التلمساني 119
– قسنطينة 119
نور الدين ابن ناصر الدين الشافعي المكي 119
أحمد ابن بلقاسم 119
عبد القادر الرشيدي 119
– عنابة 120
أحمد ابن القاسم ابن محمد ساسي البوني 120
ابو العباس 1063–1139هـ \1653–1726 121
– الجزائر العاصمة 121
خليل ابن اسماعيل الجزائري 121
عبد الرزاق ابن حمدوش الجزائري 122

محمد ابن أحمد الشريف الجزائري 125
محمد ابن رجب الجزائري 125
محمد ابن علي ابن الأمين 125
علي ابن محمد ابن عبد الواحد الأنصاري 126
خليل ابن اسماعيل الجزائري 126
– وهران 126
أحمد ابن علي الرشيدي 126
شيخ عبد اللطيف 127
ابن سحنون 127
ابن طلحا الوهراني 127
– معسكر 127
ابو راس محمد الناصر المعسكري 127
الأطباء الذين من أصل غير معروف أو أطباء زائرون 128
محمد ابن علي ابن باديس السنهاجي 128
أحمد ابن صالح ابراهيم الدير الأكتاوي 128

الطب والأطباء
في الجزائر العثمانية

في غالب الأحيان المنتصرون هم اللذين يكتبون التاريخ، هذا ما نراه لما نقرأ ما كتب عن الجزائر خلال الفترة العثمانية و لقد ساهم الكتاب الفرنسيون بقسط كبير في التعريف بهذه الحقبة و لكن غالبية كتاباتهم هي محل نقد. وقد يبدو هذا النقد شديدا عندما نتصـــفح ما كتب في ميدان الطب والصحة العمومية. فهم يتهمون أصحاب هذه الفترة بالجهل وبانعدام النظافة الشئ الذي سهل في استفحال الأمراض المعدية وترك الأهالي بلا علاج. وقد وصل هذا الوضع بسلطات الجزائر الى التراخي في فرض العزلة الإجبارية فيما يخص البضائع المستوردة من البلدان التي بها عدوى أو المرضى الذين يأتون من الخارج ...

9 789947 216293